(بعد زوال الظلم العام متى يزول الظلم الخاص؟!)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:42-43]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:54].

أخرج الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمْلي للظَّالِمِ، فإذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:102]»، وأخرج الإمام الحاكم في المستدرك قال النَّبي ﷺ: «تُرفَع لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَومَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتبَعُهُ حَتَّى مَا تُبقِي لَهُ حَسَنَةً، وَيُزادُ عَلَيهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِم».

الظلمُ وضعُ الشَّيء في غير موضعه، أو هو مجاوزةُ الحق، أو هو الاعتداء على الآخرين بغير حق، أو هو إلحاق الضَّرر عمداً بالخَلْق، ولا يزال الظَّالمُ ممقوتاً في الشَّرائع السَّماوية وفي القوانين الأرضية، وقبحُهُ معروفٌ عقلاً وشرعاً؛ إذ ليس شيءٌ أسرعَ في خرابِ الأرض، ولا أفسدَ لضمائر النَّاس من الظُّلم، والظُّلمُ مَسْلَبةٌ للنِّعم، مَجْلَبةٌ للنِّقم، وهو أداةُ العطبِ، وعلةُ خرابِ البلاد، وقد يبقى ملكٌ مع الكفرِ، ولكنَّه لا يبقى مع الظُّلم.

أمَّا الظَّالم فإنَّه مُهلِكٌ ثم هالكٌ، وأقربُ الأشياء صُرْعَةُ الظَّلوم، وأنفذُ السِّهام دعوةُ المظلوم، ومن كثُرَ ظلمُهُ واعتداؤُهُ قَرُبَ هلاكُهُ وفناؤُهُ، ومن طال تعديه كثُرَتْ أعاديه، وبئس الزَّادُ إلى المعاد العداواتُ على العباد.

وأخرج الترمذي وابن ماجه قال الله تعالى عن دعوة المظلوم: «وَعِزَّتِي، لَأَنصُرَنَّكِ وَلَو بَعدَ حِينٍ».

والظُّلم نوعان:

الأوَّل: ظلم العبدِ نفسَه، وأعظمُه الكفرُ والشِّركُ والنِّفاقُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، ثم سائرُ المعاصي والذُّنوب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النَّحل:118].

الثَّاني: ظلم العبد غيرَه، وذلك بالاعتداءِ على نفسه أو مالِه أو عرضِه: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ حرَّمَ عليكُمْ دماءَكُمْ وأموالَكُمْ وأعْراضَكُمْ كحُرْمةِ يومِكُمْ هذا في شهرِكُمْ هذا في بلَدِكُمْ».

ويعظُم الظُّلمُ إذا كان على يتيم، أو ضعيف، أو مريض، أو أجير، أو قريب، أو زوجة، أو مسكينٍ لا يجد ناصراً إلا الله.

لئن أكرمنا الله برفع الظلم العام عنا فحري بنا أن نرفع الظلم الخاص فيما بيننا شكراً لله تعالى وأدباً معه، ورحم الله عبداً عدل فلم يظلم أو ظَلَمَ فتاب وأعاد لصاحب الحق حقه، قال ﷺ: «مَنْ كانَتْ لهُ مَظْلمةٌ لِأخيهِ مِنْ عِرْضِهِ أو شيءٍ، فَلْيَتحلَّلْهُ منهُ اليومَ قبلَ أنْ لَا يكُونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إنْ كانَ لهُ عملٌ صالحٌ أُخِذَ منهُ بقَدرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لمْ تكُنْ لهُ حسناتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِ صاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»، وقال ﷺ: «أتدرون ما المفلسُ؟ قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم لهُ ولا متاعٌ، فقال: إن المفلسَ مَن أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُهُ قبل أن يُقضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ في النَّار».